المقـــــدمة

يعد التوفيق بين الدين والفلسفة من القضايا الأساسية التى إهتم بها الفكر الفلسفى والدينى . وبدأت تظهر الفلسفة الدينية ، سواء التى تحاول وضع أسس عقلـية للإيمـــان ، مستقلة عن الدين الرسمى أو العقائدى ، فيصبح «الله » مطلقا ، أو سواء تلك التى تحاول إستبدال الأخلاق بالدين الرسمى ، فتؤسس الإيمان على مجموعة من القواعد الخلقية ويحل الله فى «الضمير» أو فى «الواجب »، أو تلك التى تتجه للإبقاء على عناصر الإيمان التقليدى وتسعى لتأويل عقائدة ، تأويلاً عقلياً ، فتعيد صياغتها صياغة عقلية ، كذلك يلاحظ أنه منذ ظهور الوحى والكتب المقدسة ، بدأت تظهر الحاجة الى فلسفة دينية ، أو لإ قامة الدين على أسس وبراهين عقلية ، إما للدفاع عن الدين وتبرير عقائدة ، أو لنقده وإن كان النقد فى هذه الحالة ، ماهو إلا محاولة لرفض تفسير الدين بمفهوم تقليدى معين ، ومحاولة إحيائه من منظور جديد ، يناسب ظروف وعلوم العصر الذى يتم النقد فيه ، والحقيقة . وإن كان من الممكن فهم محاولات العصور الوسطى ، للدفاع عن الدين المسيحى ، بحجج وبراهين عقلية للتوفيق بين العقل والنقل ، أو بين الفكر الدينى والفكر الفلسفى ، كذلك وإن كان من الممكن تبرير محاولات الفلسفات الحديثة ، لتأسيس الإيمان على العقل ، كرد فعل لفلسفة العصور الوسطى ، التى كانت تدور فى فلك الدين ، وكمحاولة لتحرير العقل الأنسانى و إفساح المجال للعلـم ، فإن ظهور فلسفة دينية فى الفلسفات المعاصرة ، كفلسفة « رويس » الدينية وتأسيسه لمذهب فلسفى دينى متكامل ، مسألة تدعو إلى التساؤل ، فمعظم الفلسفات المعاصرة تتصف بالواقعية والتحليل والأتجاه العلمى ، وتهتم بالوجود الأنسانى الواقعى ، واللامذهبية . لذلك تتمثل أهمية هذا البحث فى جانبين : الجانب الأول معرفة المصادر التى إستمد منها « رويس » فلسفته الدينية ، وإن كان « رويس » قد عرض تأويلا لتاريخ الفلسفة ، وأعلن تأثره وموافقتة على أراء بعض الفلاسفة ، سواء كانوا من المثالين الألمان أو من البراجماتين ، فهل جاءت هذه الموافقات مصادر مباشرة لفلســفته ، أم أن هناك مصادر أخرى ، لم يعلن عنها وتأثر بها فى صلب فلسفته الدينية ؟

أما الجانب الثانى عرض فلسفة « رويس » الدينية ، سواء محاولة إقامة دين مثالى

فلسفى أو محاولة تأويلة لعقائد المسيحية ومشكلاتها . وذلك من خلال عرض شامل لآرائه الفلسفية والدينية والأجتماعية ، ومعرفة الى أى حد جاءت فلسفته تعبيراً عن روح العصر فى تحقيق الإنسان لحريته ، وفى تحقيق عالم أفضل ، وتخلص الأنسان من اليأس والشكوك ، وتحقيق خلاصة ، والمصالحة بينه وبين المجتمع ، أم أن فلسفته قد جاءت محاولة لصياغة المسيحية فى ثوب جديد ؟

ويتناول البحث عرض مصادر فلسفة « رويس » الدينية ، من خلال تأويلة وعرضه ، لتاريخ الفلسفة ، ومعرفة الأفكار التى تأثر بها فى صلب فلسفته ، وهل جاءت فلسفته الدينية إمتدادا لهذه الأفكار أم رد فعل لها . ويتناول عرض أرائه الفلسفية فى الوجود والمعرفة والأخلاق ، والبحث عن الروح الدينية الكامنة وراء هذه الآراء ، وهل هى روح دينية مستقلة عن الدين المسيحى ، أم تعبر عن المسيحية بصورة غير مباشرة . كما يعرض البحث لتأويل « رويس » للدين والمشكلات المسيحية ولفلسفته للولاء ، وكيف يمكن أن تصبح المسيحية دين الولاء . وينتهى البحث بعرض مجالات التوفيق بين الدين والفلسفة ، وكيف ظهر التوفيق فى موضوعات " المطلق " " والطبيعة " " والأنسان " ، وينتهى البحث بخاتمة يبين فيها ملامح فلسفة « رويس » الدينية وأهدافها مع نقد وتقويم لها .

ولقد إتبع البحث منهجاً نقدياً ، وإعتمد على منهج تحليل نصوص « رويس » الفلسفية ذاتها ، بل وفى معالجته لمصادر فلسفة « رويس » ، إعتمد على عرض « رويس » ذاته ، لتاريخ الفلسفة الحديثة ومحاضراته فى المثالية ، ولم يكتف المنهج بدراسة المؤلفات التى تناول « رويس » فيها عرض فلسفته الدينية فقط ، وإنما إتجه المنهج لدراسة كل نصوص « رويس » الفلسفية ومؤلفاته فى الموضوعات المختلفة ، وكان لابد من قراءة فاحصة لتحليل هذه المؤلفات ، لجمع الشبيه إلى الشبيه ، حتى يستقيم كل موضوع على حدة ، بصورة تمكن من متابعة رأية ، فيما تعرض للكتابة فيه . ومن توضيح كيفية تطور أرائه ، من خلال مقارنتها فى أكثر من عمل من أعماله الفلسفية. ويبدأ المنهج بعرض لآراء « رويس » فى كل موضوع من الموضوعات التى تناولها، مع التعليق من حين لآخر كلما رأى البحث ضرورة التعليق ، ثم يعقب العرض بتعقيب ، يقارن فيه بين آراء « رويس » والسابقين عليه من المثاليين ، لمعرفة ما أستفاد منه أو ما قام بتعديلة ، أو بتأويله من لآراء ، أو ما يبدو جديداً قد أضافة للموضوع ، كذلك يتم البحث

عن الأفكار الدينية المسيحية ، التى قد تكون كامنة فى الموضوع الذى تم عرضه ، لبيان الروح المسيحيه الكامنة وراءه .

ولقد قام البحث على التساؤل عن أى حد تعبر المثالية الدين الكلى الشامل الذى يمكن أن يستوعب جميع الأديان السماوية والوضعية ، ويصبح « المطلق »، أله الفلسفة وأله الدين ، وإلى أى حد يمكن أن تصبح الفلسفة بحثاً عن الحقيقة الدينية ؟ وهل من الممكن أن تكون الفلسفة قادرة على صياغة نظرية دينية ؟ كذلك لما كان « رويس » ، قد إتجه الى دراسة مشكلات المسيحية ومحاولة تأويلها تأويلاً عقليا ، فإلى أى حد جاء التأويل متسقاً مع آرائه الفلسفية وفلسفته المثالية ؟ وإذا كان « رويس » فى بداية حياته الفلسفية قد بدأ بالتأويل الدينى للفلسفة ، وفى نهاية حياته الفلسفية ، إتجه إلى تأويل المسيحية ودراسة مشكلاتها ، فهل جاءت فلسفته محققه للتوافق بين دين المثالية والدين المسيحى ؟ وهل جاء هذا التزاوج بين المثالية والإيمان تزاوجاً ناجحاً ؟ أم أن فلسفته الدينية ، قد جاءت مؤكدة لطرف على حساب الآخر ، فأنتهت إلى إفراغ المسيحية من سماتها الروحية العقائدية ، وتحويلها إلى فلسفة عقلية ، فالمثالية هى الدين الكلى الشامل ، أم إنتهت إلى جعل الفلسفة فى خدمة الدين ، وكان « رويس » مبشراً أكثر منه فيلسوفاً ، وجاءت فلسفته الدينية ، محاولة لإحياء المسيحية وبعث جديد لروحها ؟ والحقيقة أن الأفتراض الأساسى الذى حاول البحث إثباته ، إن فلسفة « رويس » الدينية ، بالرغم من مثاليته أو نزعته البراجماتية ، ماهى إلا فلسفة تعبر عن روح المسيحية ، وتتوافق مع عقائدها ، سواء تلك التى وردت فى الكتاب المقدس أو فى رسائل القديس « بولس » ، فالمسيحية هى التربة التى إستمدت منها فلسفة « رويس » غذاءها ، حتى وإن كانت المثالية الدين الكلى الشامل ، والغاية المعلنة إقامة الدين الفلسفى ، فإن هذا الدين جوهرة مسيحى .

أما بالنسبة للصعوبة التى واجهت تحقيق هذا الفرض ، فأنها تمثلت فى عدة أمور منها، أن آراء « رويس » جاءت متطورة ، يضيف عليها ، وقد يغير منها ، فلقد كانت القاعدة المنهجية لدية ، كما عبر عنها فى مقدمة كتابة « فلسفة الولاء » ، أنه لا يتمسك بأى آراء ، يكون قد وصل إليها على أنها آراء صادقة صدقاً مطلقاً ، الأمر الذى يمثل صعوبة فى تتبع آرائه الفلسفية تجاة موضوع معين ، كذلك لم يكن يعرض « رويس » للموضوع الذى يتناوله بالدراسة فى كتاب واحد محدد ، وإنما يجئ الموضوع فى أكثر من مؤلف ،

وعلى مراحل زمنية مختلفة ، وربما قد حدث ذلك بسبب عرضة لآرائه الفلسفية من خلال محاضرات ، أو بسبب أنه عند مواجهة مشكلة فلسفية معينة ، يصعب حلها ، فإنه غالباً ما يؤجل بحثها ، بل ويقرر « رويس » ذلك بنفسه فى مقدمة « العالم والفرد » ، عندما صرح بأن « شارلزبيرس » قد أرشده إلى المنطق الرياضى لحل إشكالية وجود اللامتناهى ، وخلود النفس الإنسانية ، بل ويؤكد أنه غير كثير من آرائه بعد دراسته للمنطق الرياضى ، ومثل ذلك الموقف بالرغم من إتساقة مع طبيعة الفلسفة ، إلا أنه يؤدى إلى صعوبة فهم الفيلسوف ، ولما كانت غزارة الإنتاج الفلسفى ، وضخامة المؤلفات ، من سمات فلسفة « رويس » ، فإن تتبع آرائه ، يتطلب جهداً فى جمعها وتبويبها ، بل ومما يزيد من صعوبة تحقيق هذا الهدف ، أن « رويس » يكون أحياناً « هيجليا » ، والمقصود بالهيجلية هنا غموض المعانى والتجريد ، الذى غالبا ما تتصف به الفلسفة الهيجلية ، والحقيقة أن هذه الصعوبة لها ما يبررها ، ففلسفة « رويس » ، تدور فى فلك المثالية الألمانية ، وجاءت روحها هيجلية .

وأما بالنسبة للنتائج التى إنتهى إليها البحث ، فلقد وضح أن « رويس بالرغم من رغبته إقامة دين فلسفى مثالى ، يستوعب الأديان ، وله أسسه العقلية وقواعده الخلقية ، وتفسيره الخاص للكون ، فإن هذا الدين ، ماهو إلا فكراً مسيحياً وقد إكتسى بثوب فلسفى ، حقيقة أن « رويس » ، قد أعلن رغبته فى تحقيق التوافق بين الفلسفة والدين ، دون رد أحدهما للآخر ، إلا أن البحث قد إنتهى إلى أنه بالرغم من نزعته المثالية التوفيقية ، فإنه قد وضح أنها ماهى إلا محاولة لإحياء المسيحية ، فى صورة جديدة ، تناسب العقل الإنسانى الحديث . والحقيقة أنه قد تظهر نتائج تختلف عن تلك التى توصل البحث إليها ، فترد فلسفته كلها إلى العقل أو إلى الأخلاق ، « فرويس » فيلسوف معاصر ، وماتزال أراؤه تدرس وتقيم .

والواقع أن هناك نقداً يمكن أن يوجه إلى البحث ، فى عدم الإعتماد على مراجع غربية كثيرة ، تكون قد تناولت فلسفة « رويس » بالشرح والتفسير ، والحقيقة أن البحث سعى إلى الاعتماد على نصوص « رويس » نفسه ، وإن كان يلجأ لبعض المراجع الخارجية من حين لآخر فإنه يلجأ إليها فى أضيق الحدود حتى لا يتم التأثر بأفكارها كما يمكن أن يتم الاعتراض عن تقييم تأويل « رويس » لفلاسفة الغرب ، كان يتم الإعتماد على مراجع عربية

فالحقيقة أن البحث إهتم بالمقارنه ، فإن كان « رويس » قد قدم تفسيراً لفلسفة الدين عند هؤلاء الفلاسفة ، فإن الإعتماد على نظرة عربية للفكر الدينى الغربى ، تساعد على تحقيق نوع من المقارنة ، بين ما يسمى النظرة من الداخل والنظره من الخارج ، أو ما يسمى بنظرة الغرب لفلسفته الدينية ، ونظرة الآخر إليها . كما قد يعاب على البحث تشابه بعض الموضوعات ، فى عرض آراء « رويس » وأنه كان من الممكن حذفها بسبب التكرار ، إلا أن عمق نظرة « رويس الفلسفية ، وتشابك الأفكار ، وتولدها من بعضها البعض ، والتسلسل المنطقى المحكم فى بناء الفكره فوق الفكره ، الذى إستند عليه « رويس » فى الربط بين أفكاره ونظرياته المختلفة ، كان يستوجب تكرار بعض الأفكار ، حيث كان « رويس » يتناولها فى كل مرة بمزيد من الشرح والتوضـــيح أحـــياناً ، أو لتوضيح صلتـــها بموضـــوعات لم تكـــن واضحـــة من قبل ، أو إعادة عرضها ليرتفع البناء الفلسفى .